نظيرة جنبلاط

ودورها السياسي في لبنان ١٨٩٠–١٩٥١

أ.م.د. محمود صالح سعيد *

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/١/٧   تأريخ القبول: ٢٠١٩/١/٢١

مقدمة

يعد موضوع التمكين السياسي للمرأة العربية واحداً من الموضوعات التي تشغل أذهان الكثير من المتصدين للعمل السياسي ، واصحاب مشاريع التحديث السياسي للمجتمع العربي المعاصر، لما للمرأة من دور مهم في المجتمع ، ومع تطور التعليم واحتكاك العالم العربي بالغرب واطلاعه على التجارب السياسية لتلك الدول ، زاد الوعي السياسي العربي لأهمية المرأة ودورها السياسي ، وذلك عبر اتاحة الفرصة للمشاركة السياسية من خلال آلياتها المعروفة .

ويمثل النموذج اللبناني واحداً من أكثر النماذج حداثة ، إذ كان لبنان من اوائل الدول العربية التي تمتعت بصلات وثيقة مع الغرب وافكاره الحديثة ، وأتيحت الفرصة للاطلاع على تجاربه السياسية ، وبالتالي أتيحت الفرصة للمرأة اللبنانية للمشاركة بشكل واسع – أكثر من غيرها من النساء – وادت دوراً مهماً من خلال المشاركة بالأحداث السياسية .

لكن من جهة اخرى مثلت الزعامة (١)السياسية واحدة من ابرز أشكال العمل السياسي في لبنان ، إذ كانت الزعامة السياسية للأسر اللبنانية هي المدخل الكبير لولوج معترك السياسية ، وحيث مثلت الزعامة إحدى مواريث العمل السياسي وتقاليدها في لبنان ، وضمن هذا التوجه فان ممارسة المرأة اللبنانية للعمل السياسي ، ومشاركتها تأتي ضمن

***كلية الآداب /قسم التاريخ /جامعة الموصل**

(١) مما يلاحظ على مفهوم الزعامة السياسية في لبنان أنه اتخذ سياسة اقطاعية عائلية عشائرية مذهبية وان ضمت بين اتباعها ومحازبيها اتباعاً ليسوا من نفس الطائفة .

الاطار نفسه الذي شكله مفهوم الزعامة السياسية ، فبقيت المرأة اللبنانية حبيسة العائلة ، وتمكينها السياسي بقي خاضعاً لاعتبارات جهوية ، اكثر من كونه انتماءاً ايديولوجياً ووعياً سياسياً ، وضمن اطر فرضتها تقاليد العمل السياسي اللبناني .

وفي هذا البحث محاولة لمناقشة تجربة سياسية مهمة ، خاضتها المرأة العربية في النصف الأول من القرن العشرين ، ممثلة بزعامة نظيرة جنبلاط (١٨٩٠-١٩٥١) لتيار سياسي مهم في لبنان ، ودورها في مختلف التطورات السياسية التي شهدتها لبنان والمنطقة لا سيما النصف الاول من القرن العشرين .

وناقش هذا البحث طبيعة الزعامة السياسية في لبنان وموقع المرأة فيها ، كما وناقش الظروف الموضوعية ، التي اتاحت الفرصة لنظيرة جنبلاط من تبوء منصب الزعامة السياسية ، على الرغم من وجود زعماء سياسيين من الاسرة نفسها ، تمكنت من تجاوزهم ، وابداء المرونة في اثناء التعامل معهم .

أما على الساحة السياسية اللبنانية فسوف يوضح البحث طبيعة العلاقة التي ربطت نظيرة جنبلاط مع باقي الكتل والاحزاب والقوى السياسية في لبنان ، وما شهدته الساحة السياسية في البلاد من صراعات وتوترات غاية في الصعوبة ، وأخيراً لم يتغافل البحث عن المبررات التي دفعت السيدة نظيرة من مهادنة سلطات الانتداب الفرنسي ، وتأييد الكتل السياسية ذات التوجه السياسي القريب من فرنسا ، وموقفها من تطورات الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ، وصولاً الى تسليم مقاليد الزعامة السياسية الى ابنها كمال جنبلاط (١٩١٧-١٩٧٧) .

اولاً : لمحة حول تطور الزعامة السياسية في لبنان

تتسم الطبيعة السياسية في لبنان بمجموعة من الخصائص التي تعكس طبيعة التناقضات التي عاشها ويعيشها المجتمع اللبناني عبر تاريخه الحديث ، ولا شك ان التطورات السياسية التي شهدها لبنان طيلة الحقب السابقة كان لها انعكاسات مباشرة

وغير مباشرة على طبيعة العمل السياسي المعاصر ، وتبلور مفهوم الزعامة السياسية ([1]) وفقاً لخلفيات اجتماعية ومناطقية وحتى طائفية .

فقد ظهر في لبنان ما يسمى بالزعامات التقليدية ، وكانت هذه الزعامات تتحكم بالحياة السياسية اللبنانية ، لدرجة أن لا شيء يحل أو يربط في مناطق نفوذهم بدون علمهم أو موافقتهم ، وقد تبلور في العصور الحديثة ، ولا سيما منذ مطلع القرن الثامن عشر ، وتحديداً بعد معركة عين دارة ، عام ١٧١١م([2]) مفهوم الزعامة السياسية في مجموعة من الاسر والزعامات الاقطاعية ، التي مارست – الى جانب ملكيتها للأراضي واحتكارها للثروة العمل السياسي إذ اصبح لها دوراً مهماً في الاحداث والتطورات السياسية ، وأصبح لكل طائفة في لبنان زعامتها السياسية ومنافسيها داخل الطائفة ، من ذلك على

---

(١) يرتبط مفهوم الزعامة بشكل أو بآخر بمصطلح الكاريزما ، وهي قدرة الشخص على مواجهة تحديات المنصب واجادته للمسؤوليات المناط به ويتحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقه بكل تضحية وعمل وجهد ومشاركة جمهوره آلامه وتحدياته ومصاعبه ، وبحسب قناعتي فإن الزعامة ترتبط بالجماهير وقيادتها ، وفيما يخص لبنان فإن الزعامة اللبنانية اخذت ابعاداً طائفية حين تصدت بعض القوى السياسية للعملية السياسية فكان لا بد من تبلور مفهوم الزعامة الطائفية لتحل محل الزعامة التقليدية وهي زعامة الامة . ومن هذا المنطلق فإن الزعامة السياسية التي مثلتها نظيرة جنبلاط كانت زعامة طائفية شكلت جزءاً من المنظومة السياسية الطائفية اللبنانية . للمزيد حول مفاهيم الزعامة ينظر : ثامر عباس ، تقديس الزعامة دراسة في ظاهرة الكاريزما السياسية ، دار ومكتبة عدنان ، (بغداد : ٢٠١٥) ، ص٣٠٥-٣١١؛ عزيز الحاج : " مفهوم الزعامة السياسية في الفكر العربي " يومية إيلاف ، لندن ، ٥ آب / ٢٠٠٨ على الموقع :

https://elaph.com/Web/ElaphWriter/2008/8/353913.html

(٢) كان يوجد فرعان اجتماعيان وسياسيان من الدروز يقيمون في منطقة جبل الشوف ، وكان يتزعم اليمانية عائلات بو هرموش وعلم الدين، والقيسية بزعامة عائلات آل جنبلاط وال شهاب ، واندلع هذا الصراع في عام ١٧١١، بعد أن شن القيسية هجومًا مفاجئًا على اليمانية واستطاعوا القضاء على قوة اليمانية في لبنان وإجبارهم على الاستقرار في جبل الدروز بمنطقة حوران بسوريا. وقد تغنى مؤرخو لبنان بهذه المعركة ونتائجها لإنها كانت المعركة الفاصلة في شأن لبنان. حيدر الشهابي ، لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، تحقيق : اسد رستم وفؤاد البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية ، (بيروت : ١٩٦٩) ، القسم الاول ، ص١٣-١٥ .

سبيل المثال : الزعامة الشيعية([١]) التي كانت منقسمة بين آل الاسعد وآل حمادة ، وعند الدروز([٢])، بين آل جنبلاط وآل أرسلان ، وعند الموارنة بين آل فرنجيه وآل الخازن ؛ وهكذا ، بنى هؤلاء جميعاً مكانتهم السياسية ومنزلتهم الاجتماعية من الاقطاع ، وتوارثَ الابناء عن الآباء ، وبناه الاقتصادية والاجتماعية ، فأدى عامل الوراثة إلى تبوء أبناء هذه العائلات مراكز المسؤولية في البلاد ([٣]).

وقفت الاسرة الجنبلاطية([٤])، على رأس الاسر الدرزية على مستوى الزعامة ([١]) ، وأخذت تمارس دوراً سياسياً مهماً على الساحة اللبنانية ، وشاركت في مختلف التطورات

---

(١) طائفة دينية اسلامية عاشت في لبنان وسيطرت حتى القرن الرابع عشر على مساحات واسعة من شمال لبنان يتركز تواجدهم في بعلبك وسهل البقاع وجبل عامل في الجنوب ، عرفوا باسم المتاولة وهي كلمة ماخوذة من الموالاة . ينظر : فيليب حتي ، تاريخ لبنان منذ اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر ، ترجمة انيس فريحة ، دار الثقافة ، (بيروت : ١٩٧٢) ، ص٣٢٢

(٢) الدروز أو (الموحدين) الدروز ، طائفة إسلامية تكونت في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، برزت استجابة لدعوة انتشرت في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وقد اقفلت الدعوة الدرزية سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، انتشرت هذه الطائفة في مناطق جنوب لبنان ووادي التيم وجبل الشيخ فضلاً عن أقليات في جبل السماق في حلب وغوطة دمشق وبعض قرى صفد وسفح جبل الكرمل في فلسطين . للتفاصيل ينظر : نجلاء أبو عز الدين ، الدروز في التاريخ ، دار العلم للملايين (بيروت : ١٩٨٥) ص ٥٦ ؛ أنور فؤاد أبي خزام ، إسلام الموحدين ، المذهب الدرزي في واقعه الاسلامي والفلسفي التشريعي ، دار الفارابي ، (بيروت : ٢٠٠٦) ١٧-٦٨ .

(٣) علي سليمان المقداد ، لبنان من الطوائف إلى الطائف ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، ط١ ، (بيروت : ١٩٩٩) ، ص١٦٥ .

(٤) ناقشت العديد من المصادر التاريخية اصل التسمية ومعناها ، وكل ما هنالك فإن تسمية (جنبلاط) تتالف من كلمتين ذات اصل كردي او تركي او فارسي وتعني (الروح – الفولاذ) ارتبطت معناها بالبطولة والشجاعة والقوة ويشير احد المصادر ان كلمة جنبلاط كانت لقب لجدهم بهاء بن احمد العباسي الذي جمع شمل الاكراد وحكم ابناءه من بعده فلقب= =بجد البلاد او جد البلاط ثم تحرف الاسم الى جانبولاد . للتفاصيل ينظر : محفوظ العباسي الموصلي ، تاريخ امارة بهدينان العباسية (الموصل : ١٩٦٩) ص ٣٤ ؛

Salim Hassan Hichi, La Famille des Djoumblatt (Beiruth: 1986)pp.18-19 ; 140-150.

السياسية والاحداث التاريخية التي شهدتها البلاد ، وأصبح لها ثقلاً سياسياً ومعنوياً فاعلاً ، وجزءاً اساسياً من التركيبة الاجتماعية والطائفية للبنان .

اتسمت الاسرة الجنبلاطية بالعراقة والاستمرارية التاريخية ، فهي من الاسر العريقة التي كان لها حضوراً سياسياً فاعلاً مع بداية السيطرة العثمانية على بلاد الشام عام ١٥١٦م، والامر الاخر ان بقاءها في الزعامة التقليدية كان مستمراً ولم تشهد توقفاً او فترة ركود بل كان للأسرة الجنبلاطية حضوراً في مختلف احداث التاريخ المحلي او الاقليمي ، ومارست دوراً محورياً في مختلف التطورات لذلك فإن هذه الاسرة تستحق الدراسة والتأمل واستنطاق الخصائص والمميزات التي رفعت هذه الاسرة الى مصاف الاسر العريقة والتي اتسمت زعامتها بالاستمرارية .

برزت في تاريخ الاسرة الجنبلاطية مجموعة من الزعامات السياسية والاقطاعية التي ادت دوراً اساسياً في تشكيل تاريخ لبنان السياسي الحديث ([٢]) ، فقد شهدت الاسرة الجنبلاطية في عهد علي بن رباح (١٦٩٠–١٧٧٨ م) مرحلة تأسيس الزعامة في جبل لبنان ([٣]) ، وفي عهد بشير قاسم جنبلاط (١٧٧٥–١٨٢٥م) مارست الاسرة الجنبلاطية الزعامة السياسية والاقتصادية على لبنان عموماً من خلال دعم الامير بشير الشهابي (١٧٨٨– ١٨٤٠م) لها ، وفي عهد سعيد جنبلاط (١٨١٣–١٨٦١م) قادت الاسرة الجنبلاطية الصراع الطائفي الذي احتدم في جبل لبنان ابان حقبة الفتن الداخلية

---

(١) ورثت الاسرة الجنبلاطية املاك ال القاضي التنوخية وهم من أغنى الاسر الدرزية في الشوف آنذاك نتيجة مصاهرة بين الاسرتين – وكانت اسرة ال القاضي تمثل إحدى أجنحة القيسية المنتصر في معركة عين دارة – على اليمانية ، فتبوأت الاسرة الجنبلاطية مركز الزعامة السياسية بعد استحواذها على ثروات ال القاضي واصبحت تمثل ثقلاً سياسياً مهما على الساحة اللبنانية منذ ذلك التاريخ . ينظر : ايغور تيموفيف ، كمال جنبلاط الرجل الاسطورة ، ترجمة : خيري الضامن ، دار النهار ، ط١ ، (بيروت : ٢٠٠٠) ص٥٠٤ .

(2) Doyle, Paul, Lebanon, (Bradt Travel Guides: 2016). p. 291

(٣)أنيس يحيى ، الشيخ بشير جنبلاط وتحقيق وصيته (١٧٧٥–١٨٢٥) ، دار الفنون ، (بيروت : ٢٠٠١) ، ص ١٢ ؛ ايغور تيموفيف ، المصدر السابق ، ص٥٠٤ .

والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأدت تلك الزعامات دوراً بارزاً في ظروف سياسية واقتصادية وطائفية استثنائية في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وفي حقبة المتصرفية (١٨٦١-١٩١٥ م) (١) شهد المشروع الدرزي تراجعاً واضحاً على حساب المشروع الماروني المسيحي ، كما ان الزعامات الاقطاعية تعرضت ايضاً لهزة عنيفة بعد الغاء النظام الاقطاعي في جبل لبنان ، ومع هذا ظلت الزعامة الجنبلاطية تمارس دوراً في محيطها ولاسيما في مناطق نفوذهم ضمن القائمقامية(٢) (الشوف وجزين)(٣) .

فضلاً عن المشاركة في مجلس الادارة الكبير ، الذي أنشأ بوصفه احدى المؤسسات الحديثة لنظام المتصرفية ، والذي يمثل اعلى سلطة تشريعية محلية في جبل

(١) للاطلاع على نظامه الاساسي ينظر : سالنامة جبل لبنان ، اوجنجى دفعه ، متصرفيت مطبعة سي دائرة سند طبع اولمشندر ، (بتدين : ١٣٠٦هـ) ص٣٢-٢٩ .

(٢) بموجب النظام الاساسي الذي تمت الموافقة عليه بين الدولة العثمانية والدول الاوربية الخمس (بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا وايطاليا) سنة ١٨٦٤م تم تقسيم لبنان الى سبعة اقضية يترأسها قائمقام ومجلس ادارة ، وبما ان الزعامة الجنبلاطية كانت مسيطرة على قضائين من هذه الاقضية السبعة فإن حصتها كانت ان تدير هاتين القائمقاميتين رغم ان المتصرف العثماني كان حريصاً على اباعدهم عن تولي واشغال هذا المنصب خشية من تنامي نفوذ بريطانيا في لبنان . يوسف قزما خوري ، الدساتير في العالم العربي (نصوص وتعديلات) ١٨٣٩-١٩٨٧ ، دار الحمراء (بيروت : ١٩٨٩) ، ص ١٣-١٦.

(٣) يقع الشوف الى الجنوب من سلسلة جبال لبنان الغربي وترجع تسميته الشوف الى نبات الشوفان وقيل انها لفظة سريانية ، وقيل ايضاً أنها اخذت عندما اشار احد زعماء هذه المنطقة باصبعة الى احد اجداد الاسرة المعنية الحاكمة وقال له (شوف) بلغة عامية أي انظر فسميت بهذا الاسم . للتفاصيل ينظر : حسين نعمة ، الموسوعة اللبنانية ، ج١ ، دار الرافدين (بيروت : ٢٠١٦) ، ص٥٥ . أما جزين : فتمتد من الشوف الحيطي الى قرية جزين ، سكانه نصارى من الطائفة المارونية ومشايخه جنبلاطية وقاعدته جزين ومن قراه بكاسين ومشموشه وكفرحونه . ناصيف اليازجي ، رسالة تاريخية في احوال جبل لبنان الاقطاعي ، تحقيق : محمد خليل الباشا و رياض حسين غنام ، دار معن ، (د.م : د.ت) ، ص٣٠ .

لبنان ، وبقية المناصب الادارية المهمة ، والتنافس كان واضحاً بينهم وبين ال ارسلان([1]) ، حيث بقي نسيب بن سعيد جنبلاط (١٨٥٥-١٩٢٢م)([2]) ومصطفى ارسلان (١٨٤٨-١٩١٤م) يتبادلان منصب قائمقام الشوف لمدة ثلاثين عاماً ([3])، بيد أن المهم في الأمر ان منصب القائمقامية في الشوف اصبح اشبه ما يكون بمنصب تتوارثه العائلة الجنبلاطية وفتح المجال امام افراد الاسرة الجنبلاطية لتولي الزعامة بالوراثة لتعزيز قوة الزعامة وحضورها .

وهكذا مثلت الوظائف الادارية في ظل نظام المتصرفية وسيلة مهمة للتعويض عما خسرته الزعامات الاقطاعية ، فوجدوا في منصب القائمقام أو مدير الناحية وغيرها من المناصب الادارية استمراراً لوظيفتهم القديمة وهي التصدي للعمل السياسي العام ، تحت اشراف المتصرف بعدما كانت تحت اشراف الامير الكبير في ظل نظام الامارة السابق ([4]).

ثانياً : حادثة اغتيال فؤاد جنبلاط وتولي نظيرة جنبلاط الزعامة السياسية

عين فؤاد باشا(١٨٨٥-١٩٢١م) سنة ١٩١٩م ليتولى منصب قائمقام الشوف بدلاً من عمه نسيب باشا جنبلاط ، ربما لإعادة رسم الخارطة السياسية داخل العائلة

(١) ال ارسلان : ترجع هذه الاسرة الى المناذرة انتقلت من معرة النعمان الى بيروت سنة ٧٥٩م لحماية الثغور زمن الخليفة ابو جعفر المنصور عمرت الساحل واقامت اول امارة عربية اسلامية استمرت حتى ١٥١٦ حصرت ولايتها في الغرب الاعلى بعد معركة عين دارة اشهر رجالاتها احمد وامين وشكيب ارسلان . اليازجي ، المصدر نفسه ، ص١٤ .

(٢) سالنامة جبل لبنان ، المصدر السابق ، ص٤١ -٤٢ .

(٣) محمد خليل الباشا ، معجم أعلام الدروز في لبنان ، المجلد الاول ، الدار التقدمية (الشوف : ٢٠١٠) ، ص ص١٦٨-١٧٠ .

(٤) للاطلاع على نماذج من ذلك ينظر : سالنامه جبل لبنان ، المصدر السابق ، ص٤٠-٤٦ ؛ وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ١٨٦٠-١٩٢٠م ، ط٢ ، معهد الانماء العربي ، (بيروت : ١٩٧٨) ، ص٦٩-٧٠ .

وداخل الطائفة الدرزية (١) ، إذ أن نسيب جنبلاط كان موالياً للسياسة البريطانية وأنه شغل منصب القائمقامية حتى عام ١٩١١ م (٢) ، وفي عهد الانتداب الفرنسي على لبنان ارتأت السياسة الفرنسية استبداله ، والمجيء بشخصية فؤاد جنبلاط ، ابن اخيه ، ليشكل صفحة جديدة لزعامة جنبلاطية جديدة تختلف عن الحقبة السابقة .

استمرت زعامة فؤاد باشا حتى مقتله عام ١٩٢٢م (٣)، وقيل أن ال ارسلان هم الذين اغتالوه بسبب التنافس على الزعامة (٤) ، رغم أن غالبية المصادر لا تشير الى ذلك بل وتستبعدها .

لقد بدا واضحاً أن سياسة الانتداب الفرنسي كانت تميل إلى استمالة الاقليات ، لا سيما الدروز ، وذلك عن طريق تعيين أبناء الاعيان المتعلمين ، والنافذين من أصحاب الكلمة في المناصب الادارية ، ومن هنا يمكن أن نفهم دوافع تعيين فؤاد جنبلاط قائمقام على الشوف ، ومن جهة أخرى موافقة فؤاد جنبلاط على ذلك ، لأن المنصب يتيح له الامكانية للحفاظ على زعامة آل جنبلاط بين الدروز ومناصريهم والتخفيف من الاضرار التي قد تصيبهم من جراء سياسة الاحتلال الفرنسي (٥).

ومن الواضح أن هذا الميل نحو السياسة الفرنسية لم يكن محل ترحيب الاسرة الجنبلاطية بالكامل بل على العكس كانت من جملة الامور التي احدثت شرخاً في العلاقة لا سيما بين فؤاد جنبلاط وعمه نسيب ، وقد عمدت سياسة الانتداب الفرنسي على

---

(١) عزيز المتني ، كمال جنبلاط اسئلة وحقائق ، الدار التقدمية (المختارة : ٢٠١٠) ، ص٥٩-٦٢ .

(٢) شوكت اشتي ، الست نظيرة جنبلاط من حدود العائلة الى ربوع الوطن ، دار النهار (بيروت : ٢٠١٥) ، ص ٧٠-٧١ .

(3) Solymar, Laszlo , (Author House: 2013). p. 110

(4) Ibid. p. 110

وثمة رواية يشير إليها الصحفي المقرب من كمال جنبلاط أن مقتل فؤاد باشا كان تنفيذاً لأوامر خارجية تتصل بالصراع البريطاني الفرنسي على النفوذ في المنطقة العربية مستبعداً أي يكون هناك دوافع طائفية وراء الحادثة ، وهو ما يرجح على الاغلب . المتني ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٥) المتني ، المصدر السابق ، ص٦٢.

استغلال ذلك ومحاولة التقرب من فؤاد ودعمه ، والقيام بزيارات يتم الاعلان عنها والاحتفاء بها لتضاعف من حدة الانقسام داخل البيت الجنبلاطي ([١]).

إن فؤاد جنبلاط (١٨٨٥–١٩٢١م) هو حفيد سعيد بن بشير قاسم الزعيم الجنبلاطي المعروف ، الذي عاصر الاحداث الطائفية ، التي شهدتها لبنان للمدة ١٨٤٠–١٨٦١م ، وابن نجيب جنبلاط (١٨٥٩–١٨٩٣م) الذي شغل منصب مدير الشوف الحيطي . من مواليد بلدة المختارة ، درس في الجامعة الامريكية ، وتولى قائمقامية الشوف منذ عام ١٩٠٦م ([٢]) ، فكان فؤاد زعيماً للاسرة الجنبلاطية حتى اغتياله ([٣]) .

أدى مقتل زعيم الاسرة الجنبلاطية الى خلو مركز الزعامة الدرزية من شخص قادر على تحمل اعبائها ، لاسيما وأن ابن المغدور (كمال) كان صغيراً في السن ولم يبلغ السن الذي يجعله قادراً على تحمل مسؤولية الزعامة ، بيد أن سؤالا يطرح نفسه بشدة : ألم يكن ثمة زعامات سياسية جنبلاطية قادرة على تولي زمام المبادرة ؟ وبالتالي يقودنا هذا التساؤل الى تساؤل آخر : ما هي الظروف الموضوعية التي دفعت بالزعامة الى ان تتولاها إمرأة ؟ ولعل السبب يرجع الى ان أخي فؤاد باشا المدعو علي بك نجيب جنبلاط (١٨٨٧–١٩٤٣م) ([٤]) ، لم يكن راغباً بالزعامة ولم يحفل بالسياسة بل كان منشغلاً بعلاقاته وملذاته وسفرياته ، لذلك لم تدم زعامته للأسرة طويلاً اذ استقال عام ١٩٢٣ م وسافر الى الارجنتين تاركاً الزعامة الجنبلاطية في فراغ . كما ان ثمة خلاف واضح بين نسيب جنبلاط وابن اخيه فؤاد كما بينا ، لذا فعند الذطرى الاولى لاغتياله بدا واضحاً الخلاف حيث تم القاء كلمة باسم نظير جنبلاط وخلا التابين من كلمات بقية الاسرة مما

---

(١) تذكر احد الصحف بتاريخ ١٣ ايار ١٩٢١ قيام المندوب السامي الجنرال غورو بزيارة ومعه ممثلين عن مجلس الشيوخ ومجلس النواب بزيارة وتم استقباله بحفاوة واستمرت الزيارة ثلاثة ساعات . ينظر : صحيفة الصفاء ، ١٣ ايار ١٩٢١ .

(٢) اشتي ، المصدر السابق ، ص٣٨٦.

(٣) الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٣٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، المجلد الاول ، ص ص٣٨٦ – ٣٨٧ ؛ المتني ، المصدر السابق ، ص٥٩ .

يعني ان نظيرة جنبلاط قررت عدم التخلي عن زعامة الاسرة لتحتفظ بها حتى بلوغ ولدها كمال([1]) . وهنا يأتي دور نظيرة جنبلاط لتملئ الفراغ الذي أحدثه انسحاب علي بك جنبلاط ، وكانت في الثالثة والثلاثين من عمرها ([2]).

من جهة أخرى كان نسيب جنبلاط كان قد تجاوز الخامسة والستين من العمر ، ولم يكن قادراً على تحمل اعباء الزعامة ، فضلاً عن ذلك كان ثمة انقسام داخل العائلة نفسها فيما عرف بالانقسام بين البرامية المختارة ، وهو الانقسام داخل العائلة الجنبلاطية نفسها على تولي زعامة الاسرة ، إذ الاخيرة كانت تدعم فؤاد باشا في حين دعمت البرامية نسيب جنبلاط([3]) ، ولم يتم لم شمل هذا التنافس الا عام ١٩٣٧ بتدخل مباشر من نظيرة جنبلاط حيث اعادت اللحمة الى العائلة([4]) بتأييد انتخاب حكمت بن علي بن نجيب جنبلاط([5]) ليكون نائباً في البرلمان اللبناني سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٣٧م ، ويتولى وزارة الزراعة في ١٣ كانون الثاني / يناير ١٩٣٨م ووزيراً للبريد والبرق في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٩م ووزيراً للدفاع الوطني والصحة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١م ([6]) وكان حكمت جنبلاط في مسيرته النيابية والوزارية يسير وفقاً لتوجيهات نظيرة جنبلاط وارشاداتها ([7]).

نجحت نظير جنبلاط في تصدر الزعامة الجنبلاطية وكان من بين أهم العوامل لذلك عدم رغبة المنافسين لها بتولي الزعامة ، فضلاً عن ذلك معظم رجالات الجنبلاطية

(١) اسكندر الرياشي ، قبل وبعد ١٩١٨ إلى ١٩٤١ ، (د.م : د.ت) ، ص٩٦ .

(٢) المتني ، المصدر السابق ، ص٦٤ .

(٣) كان نسيب جنبلاط يعتقد ان زعامة المختارة موالية لفرنسا أكثر من أي دولة أخرى ، وخارجة عن التقليد المألوف للزعامة الجنبلاطية في الموالاة للسياسة البريطانية . اشتي ، المصدر السابق ، ص٧٨.

(٤) سليم حسن هشي ، يوميات لبناني ايام المتصرفية ، (بيروت : ١٩٧٣) ص٢٠-٢١ ؛ اشتي ، المصدر نفسه ، ص٦٨ .

(٥) ولد في المختارة ١٩٠٥م ودرس في الجامعة الامريكية وتخرج سنة ١٩٢٥م في الادب الانكليزي درس في القسم الاعدادي في الجامعة حتى ١٩٢٧ بعدها انصرف الى الحيياة العامة متنقلاً بين مجلس النواب والوزارات حتى وفاته في ٥ حزيران ١٩٤٣. الباشا ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٥٠-٣٥١.

(٦) بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، الجزء الاول ، (بيروت : ١٩٦٠) ، ص٣٢٦-٣٢٨.

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٤

كانوا قاصرين حتى الثلاثينيات حينما بلغ حكمت بن علي جنبلاط السن التي تؤهله للدخول في معترك السياسة ، لذلك نلحظ انه لم يكن للجنبلاطية حتى الثلاثينيات اي مركز اساسي في المجالس الادارية والنيابية (١).

حلت نظيرة جنبلاط محل زوجها فؤاد جنبلاط في زعامة الاسرة ، وسعت إلى المحافظة على التقليد في مسألة التوريث للزعامة السياسية ، ونقلتها بكل أمانة في عام ١٩٤٣ م الى ابنها كمال جنبلاط ، لكن المهم في تجربتها انها تجاوزت التقليد في مسألة الزعامة الذكورية (٢)، وتولت بنفسها زعامة الاسرة السياسية . مما يؤشر على فرادة التجربة ، وطبيعة التحول السياسي للزعامة في لبنان ، حيث اتسمت نظيرة جنبلاط في اثناء توليها الزعامة السياسية للاسرة الجنبلاطية : بالشجاعة ، والصبر ، والقدرة على تحمل المصاعب ، والحنكة السياسية ، ومقدرة على تسيير الأمور ، حتى تم وصفها من قبل اندادها بحسب التعبير العامي بـ " اخت رجال " ليكون منسجماً مع الطابع الذكوري للمجتمع (٣) .

ثالثاً : طبيعة الزعامة السياسية للنموذج اللبناني

ادركت نظيرة جنبلاط موقعها بصفتها امرأة وسط بيئة اجتماعية محافظة ، وتصرفت وفقاً لهذا الاعتبار ، فساعدها ذلك على الصمود ، وكسب رضى الناس وتأييدهم . فاتخذت اسلوباً متميزاً ، سواء في طريقة الاتصال بالناس عامة والاجانب خاصة ، وحتى في مجال ارتداء الثياب المحتشمة ، حيث لم تختلف عن غيرها من نساء طائفتها (طائفة الدروز) ، فقد كانت تخرج لاستقبال الضيوف الاجانب في فستان على

---

(١) خليل احمد خليل ، كمال جنبلاط ، ثورة الامير الحديث ، ط١ ، دار المطبوعات الشرقية ، (بيروت : ١٩٨٤) ، ص٦٣ .

(٢) للتفاصيل عن طبيعة المجتمع العربي ومسالة الزعامة الذكورية ينظر : هشام شرابي ، النظام الأبوي واشكالية التخلف في المجتمع العربي(بيروت : ٢٠٠٤) ص٢٢ ؛ وينظره له أيضاً : النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٩٩م) ، ص٣١-٣٤ .

(٣) جريدة النهار ٢٠ نيسان ١٩٨٧ .

الطراز الاوربي ، لكنها بالوقت نفسه تلبس غطاء الراس ، وتضع الحجاب على فمها وهذا الامر يحاكي طبيعة التحولات التي شهدها المجتمع اللبناني إبان حقبة الانتداب الفرنسي([١]) .

لقد حرصت الزعامة الجنبلاطية في عهد نظيرة جنبلاط على اهمية الاتصال مع الوفود الاجنبية ، والتواصل مع مختلف القوى ، وكانت تغضب اشد الغضب حين يتم تجاهلها ، لذلك كانت تعمد حين يقرر وفد من الوفود زيارتها الى ابلاغ الناطور بضرورة إبلاغ الأهالي ، للاستعداد لاستقبال الضيوف ، لذا كانت تعمد الى توفير الاجواء الشعبية المناسبة لاستقبالهم ، عندئذ تتوافد الجماهير وتكتظ الساحات ([٢]). وهنا تحاول الزعامة الجنبلاطية ابراز قوتها وشعبيتها أمام ضيوفها من جهة ، وامام انصارها من جهة لبيان أهميتها وزيارة الوفود الاجنبية لها للاستئناس بآرائها ومواقفها . وذلك في محاولة لتعزيز مكانة الزعامة الجنبلاطية في سياسة لبنان.

وكان من السمات العامة لزعامة نظيرة جنبلاط عند اتصالها بسلطات الانتداب ، أو وفود أجنبية ، كانت تعمد الى إحضار مرجع ديني من طائفتها ، التزاماً منها بنظرة المجتمع ، واحترامها لرجال الدين ، وتعبيراً صادقاً عن تماسك الغرضية الحزبية الجنبلاطية بشقيها الديني والسياسي ([٣]) .

من جهة ثانية كانت تعمد إلى الاستعانة بمجموعة من المقربين المحيطين بها لأخذ مشورتهم في القضايا العامة ، في اشارة واضحة إلى المرونة العالية التي اتصفت بها في صلاتها السياسية مع الاخرين ، فقد حاولت منذ البدء التخفيف من حدة الخلافات بين اركان العائلة الجنبلاطية ، ومارست الدهاء السياسي عبر سلسلة من المصاهرات هدفت من خلالها توحيد الموقف العائلي أولاً ، والدرزي ثانياً ، فرأبت الصدع بين افراد العائلة الجنبلاطية بالسماح بزواج ابنتها ليندا جنبلاط (١٩١٩-١٩٧٦م) من ابن

---

(١) اشتي ، المصدر السابق ، ص١٦٤.

(٢) اشتي ، المصدر نفسه ، ص١٦٥.

(٣) اشتي ، المصدر نفسه ، ص ١٤١-١٤٣.

منافسها على الزعامة حكمت بن علي جنبلاط (١٩٠٥-١٩٤٣م) ([1]) ووافقت على زواج ابنها كمال من مي ارسلان ابنة الزعيم الوطني شكيب ارسلان(١٨٦٩-١٩٤٦م) ([2]) .

اما علاقتها مع بقية القوى السياسية الوطنية في لبنان فقد اتسمت سياستها بالمصالحة والسعي إلى تجميد التوترات المستحكمة ، ومعالجة المشاكل بمرونة وضبط نفس .

ان الزعامة السياسية في لبنان ارتبطت عبر تاريخه الحديث بالقوة والشجاعة ، وكانت الزعامة الجنبلاطية واحدة من أكثر الزعامات السياسية التي شهد تاريخها صراعاً سياسياً ، وكان يتم اختيار زعماءها بعناية شديدة ، ليكونوا قادرين على مواجهة التحديات ، وقادرين على مواكبة المتغيرات ([3]).

سعت الزعيمة الجنبلاطية الى استقلالية الموقف الدرزي في اتخاذ القرارات الخاصة بالطائفة من خلال تجاوز المرجعيات الرسمية ، وهذا ما حدث حينما حاولت الاتصال بالرئيس بشارة الخوري (١٩٤٣-١٩٥٢م) لغرض وضع حد للسجال الذي ظهر على

---

(١) ولد في المختارة وتخرج من الجامعة الامريكية في بيروت في الادب الانكليزي عام ١٩٢٥ انتخب نائباً عن الشوف عام ١٩٣٤ ووزيراً للزراعة عام ١٩٣٨ ووزيراً للبرق والبريد ١٩٣٩ ووزيراً للدفاع الوطني والصحة عام ١٩٤١ وكان يعمل ضمن ارشادات نظيرة جنبلاط . الباشا ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٥٠-٣٥٢.

(٢) ولد في بلدة الشويفات درس على يد الشيوخ وفي مدرسة الحكمة البيروتية ودرس اللغات الانكليزية والتركية فضلاً عن العربية ثم تعلم الالمانية اصبح مديراً لناحية الشويفات عام ١٨٨٧ انتخب عام ١٩١٣ نائباً في مجلس المبعوثان العثماني اسس (نادي الشرق) في المانيا وكان من اشد المعارضين للسياسة الفرنسية اصبح رئيساً للمجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٣٨ . الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الثاني، ص١٤٥-١٥٠؛ اشتي ، المصدر السابق ، ص١٦٢ .

(٣) لعل كلمة جانبولاد تعني في احد معانيها (روح الفولاذ) وهذا المعنى بحد ذاته يعبر عن حجم التحديات مما جعل الزعامة السياسية عموماً والجنبلاطية خصوصاً تستبعد أي دور للمرأة ؛ بيد ان نظيرة جنبلاط نجحت في تبوأ كرسي الزعامة الجنبلاطية في احلك الظروف .

خلفية تعيين شيخ العقل للطائفة الشيخ محمد ابو شقرا (١٩١٠-١٩٩١م) ([1]). وكانت التوجهات العامة للزعامة الجنبلاطية هي ترك شيوخ العقل الدرزي مهمة الاختيار من دون تدخل مباشر من قبل الزعامة الزمنية ، لذلك وقع الاختيار على هذه الشخصية التي توحد الدروز حولها([2]) بعدما كانت منقسمة الى غرضية جنبلاطية ويزبكية . حيث كل غرضية كان لها شيخ عقل خاص بها ، وتوافق ان كان هناك ثلاث زعامات دينية واحدة للجنبلاطية واخرى لليزبكية وثالثة في حوران ([3])، فحققت عبر هذه السياسة وحدة في الزعامة الدينية على أمل تحقيق هدف توحيد الزعامة السياسية .

كذلك سعت الزعامة الجنبلاطية الى المصالحة بين أقطاب العائلة الجنبلاطية التي كانت تشهد فتوراً من جهة ، وتنافساً من جهة أخرى ، وكانت وسيلتها الى ذلك تقريبهم ، واستشارتهم ، وتوزيع الادوار عليهم ، فضلاً عن ذلك اتباعها سياسة المصاهرات . فمن أجل كسب حكمت جنبلاط الى صفها زوجت ابنتها ليندا ، ففتح هذا الامر الباب مشرعاً

---

(١) من مواليد قرية عما طور اللبنانية ، شارك في الثورة السورية الموحدة عام ١٩٢٥ وتولى منصب مشيخة العقل الدرزي الدينية عام ١٩٤٩ م ، ابرز الاعمال التي قام بها كان تنظيم شؤون الوقف الموحد. وإنشاء بيت الطائفة الموحدة في بيروت.والعمل على سن قانون انتخاب شيخ العقل للموحدين (الدروز) في لبنان. وتأليف المجلس المذهبي للطائفة الموحدة (الدروز) سنة ١٩٦٢. إنشاء بلدة المعروفية قرب عين عنوب في لبنان لتوطين مهاجري جبل الموحدون. وإنشاء المؤسسة الصحية الموحدة في عين وزين، التي أفتتحت سنة ١٩٨٩م . توفي في بيته في بعذران يوم الرابع والعشرين من تشرين الاول ١٩٩١. شوقي حمادة : " الشيخ محمد أبو شقرا رجل التوحيد والحكمة والسلام في زمن الحرب " ، جريدة النهار ، (بيروت ، الثلاثاء ١٦ تشرين الثاني ٢٠١٠) ، العدد ٤٢٢٥ .

(٢) تشير احدى الروايات ان نظيرة ارادت حسم منصب شيخ العقل داخل الطائفة وكانت رئاسة الجمهورية اللبنانية تريد ان يكون لها رأي في ذلك ، ولما تأخر الرئيس بشارة خوري بالاستجابة لاتصالها فوجهت (طرحت الصوت) بدعم محمد ابو شقرا وجيء به زعيماً للطائفة الدرزية ، ولما اتصل بها الرئيس بشارة معاتباً يتساءل متى اصبح الشيخ بطلاً ، ردت عليه : " ان بحة صوتك تجعل الناس ابطالاً " في ردها على تهربه من الرد على اتصالها . اشتي ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .

(٣) برجيت شيبلر ، انتفاضات جبل الدروز – حوران من العهد العثماني إلى دولة الاستقلال ١٨٥٠-١٩٤٩ دراسة انتروبولوجية – تاريخية ، المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، (بيروت : ٢٠٠٤) ، ص٣٤-٤٧ .

أمام نشاطها ، وعزز من موقعها السياسي في الزعامة ، من جهة ثانية سعت الى التقارب من المنافس على مستوى الطائفة وهي الزعامة الارسلانية من خلال تزويج ابنها كمال جنبلاط من ابنة شكيب ارسلان .

لقد تدعمت سياسة نظيرة جنبلاط في لبنان من خلال التنسيق المشترك مع صهرها حكمت جنبلاط ، ليسيرا في اتجاه واحد متوافق مع سياسة (الكتلة الوطنية) ([١]) القريبة من فرنسا وسياسة لبنان الكبير ، ووفقاً لذلك تدعمت مواقع حكمت جنبلاط السياسية نتيجة دعم الزعامة الجنبلاطية له ، حيث حظي بتاييد شعبي قوي ، أتاحت الفرصة له في تبوء مناصب سياسية هامة ([٢]) وكل هذا بفضل التقارب التعاون بين الطرفين .

تمكنت نظيرة جنبلاط من الاجتماع بعلي جنبلاط شقيق زوجها عام ١٩٣٧ بعد قطيعة استمرت ١٣ عاماً ، وانتهى الاجتماع بالاتفاق على تأييد نظيرة جنبلاط زواج أبنتها من نجل علي ، وتولي نيابة الشوف ، حيث عين ابنه حكمت جنبلاط نائباً ثم وزيراً منسجماً مع سياسة الزعامة الجنبلاطية ومصالحها ([٣]).

في ظل هذه التحديات تكمن اهمية التجربة اللبنانية في تمكين المرأة العربية وتبوأها منصب الزعامة السياسية ، ونجاح هذه التجربة له أسباب وعوامل فضلاً عن

---

(١) الكتلة الوطنية ، حزب سياسي لبنان اسسه إميل إده سنة ١٩٤٣ وبعد وفاة المؤسس تسلم ريمون إده زعامة الحزب ، كان الحزب يمثل القوة السياسية الاساسية في لبنان في الاربعينيات والخمسينيات إلى جانب الكتلة الدستورية التي يترأسها بشارة الخوري (١٨٩٠-١٩٥٠م) ، بقي الحزب محايداً طيلة الحرب الاهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠م) يتزعم الحزب الان كارلوس إده حفيد المؤسس . علي عبد المنعم شعيب ، تاريخ لبنان من الاحتلال الى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦ ، الفارابي (بيروت : ١٩٩٠) ، ص٥٧-٦٠ ؛ أحمد محمد حسن الطراونة ، الاتجاهات السياسية في لبنان بين الحربين العالميتين ١٩١٨-١٩٣٩ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا (الجامعة الاردنية : ١٩٩٦) ، ص١١٤-١١٥ .

(٢) اشتي ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .

(٣) المتني ، المصدر السابق ، ص٧٢ .

معوقات وتحديات ولكن كيف يمكن الافادة من تجربتها في الزعامة السياسية تعزيزاً لدور المرأة السياسي وسعياً لأخذ دورها للمشاركة السياسية ؟

رابعاً : عوامل التمكين السياسي :

كانت نظيرة جنبلاط وهي ابنة فارس بن حمود بن كليب بن فارس جنبلاط من مواليد عين قني في الشوف في جبل لبنان ، ووالدتها ابنة الشيخ سعيد جنبلاط التي رعت ابناءها بعد وفاة زوجها سعيد بك جنبلاط عام ١٨٦١م ، ربتها جدتها وبحسب التقاليد والاعراف لم تدخل نظيرة جنبلاط المدرسة ، وفي عام ١٩١٥م اقترنت بفؤاد بك جنبلاط ولها من الابناء كمال(١٩١٧–١٩٧٧ م) وليندا (١٩١٩ – ١٩٧٦م) (١)

ومن هذا المنطلق تبدو نظيرة جنبلاط نموذجاً من النساء التي اظهرت قدرات متميزة ، وكفاءة في تحمل المسؤولية في صنع القرار ، ذلك ان الزعامة السياسية في لبنان ليست مجرد وظيفة في الدولة ، أو زعامة لحزب بل تنافس سياسي ، وزعامة اجتماعية ، فقد حلت محل زوجها فؤاد بك عند مقتله ، وكان زوجها قائمقام الشوف آنذاك ، وزعيم الغرضية الجنبلاطية المنافسة للغرضية الارسلانية ؛ لذا تولت نظيرة جنبلاط واجب الزعامة في احلك الظروف ، حتى ان رئيس جمهورية لبنان الشيخ بشارة الخوري (١٩٤٣–١٩٥٢ م) قال لها ذات مرة : " ان فخامتي ستزول بانتهاء مدة الرئاسة واما سعادتك فستبقى ابد الدهر " (٢) في اشارة واضحة الى فرادة التجربة ونجاحها .

كان ثمة منافسين اشداء في مواجهة نظيرة جنبلاط ، وتصدرها للمشهد السياسي في لبنان ، لكن عوامل مهمة ساعدت على فتح الطريق امامها ، فقد توفي كبير العائلة نسيب بك جنبلاط(٣) عام ١٩٢٢ م ، وانسحاب علي جنبلاط من الحياة السياسية ، فخلا

---

(١) ناديا الجردين نويهض ، نساء من بلادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، (بيروت : ١٩٨٦) ، ص٧٥–٧٦ ؛ تيموفيف ، المصدر السابق ، ص١٥.

(٢) خليل احمد خليل ، كمال جنبلاط ، ثورة الامير الحديث (بيروت : ١٩٨٤) ، ص٥٢ .

(٣) نسيب جنبلاط ، ولد عام ١٨٥٥ ابن سعيد جنبلاط درس في المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني عينته الحكومة مديراً للشوف الشويزاني عام ١٨٦٩م واصبح رئيساً لدائرة الجزاء الاستئنافية عام ١٨٨٣م

القصر من المنافسين ، كما كانت قريبة من السياسة الفرنسية الراغبة لتانيث الزعامة بسبب المرومةن التي تمتعت بها نظيرة جنبلاط ومقدرتها على المساومة ، وما تمتعت بها أرملة المغدور من سمات قيادية (١)، فكانت ثمة عوامل موضوعية ساهمت في انضاج فكرة تأنيث الزعامة فيظهر من هذه العوامل :

– محبة الناس لبيت ال جنبلاط وما تمثله من ضمير جمعي أثر على دعمهم والالتفاف حول زعامتها . ومن المعروف عن الدروز تكاتفهم ودعمهم لزعاماتهم بشكل مثير وهذا ما تشهده سنوات الحروب والأزمات والصراعات من وقوفهم يداً واحدة متكاتفين ضد اعداءهم .

– تقارب رجال الدين الدروز منها وتردد شيخ العقل على مجالسها يؤشر بوضوح الى رضا رجال الدين الدروز بزعامتها وبالموقع الذي احتلته فمثل ذلك ابرز ركائز الدعم السياسي للزعامة الجنبلاطية المؤنثة (٢).

– كما ادت حادثة اغتيال زوجها فؤاد بك إلى مزيد من التعاطف مع هذه الاسرة ، وعمّق من الالتفاف حول زعامة قصر المختارة ، فساندوا زوجته على حساب بقية المنافسين الاخرين ، لا سيما أن نظيرة جنبلاط بدأت بالظهور السياسي لأول وهلة ، وبدأت تتبلور مواقفها السياسية وعلاقاتها ، ولم تكتف بما تمليه عليها سياسة الانتداب ، وهذا ما نلاحظه حين رفضت استلام المبالغ التي جمعتها سلطات الانتداب من الاهالي لتعويضها ، بل على العكس اعلنت مكافئة من جيبها الخاص لمن يدلي بمعلومات تفيد باعتقال المتهمين (٣) في إشارة واضحة إلى قوة الزعامة .

وبعدها قائم مقاماً للشوف عام ١٨٤٤م توفي سنة ١٩٢٢م ولم يترك عقباً الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الاول ، ص٤٠٣-٤٠٤ .

(١) تيموفيف ، المصدر السابق ، ص٣١ ؛ اشتي ، المصدر السابق ، ص١٠٥-١٠٨، ص١١٠ .

(٢) تيموفيف ، المصدر نفسه ، ص٣٣ .

(٣) اشتي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

– ويرى المستشرق الروسي ايغور تيموفيف([1]) أن للسياسة الفرنسية دور مهم في التقرب من الزعامات الدرزية ، والسعي لتثبيت زعامتها ، إذ وجدوا في نظيرة جنبلاط خياراً مقبولاً قياساً بالآخرين ، حيث تتسم نظيرة جنبلاط بنزعة محافظة ، ومقدرة هائلة على التفاوض ، والمساومة فضلاً عن المرونة السياسية ([2]) .

وإلى جانب هذا الموقف كانت سياسة الانتداب الفرنسي لا تثق بزعامة نسيب جنبلاط ، وتعده موالياً للسياسة البريطانية ، لذلك سعت الى ابعاده عن الزعامة السياسية للدروز ، وكذلك وفاته في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٢ م ، جعل كرسي الزعامة خالياً عملياً ، ولما لم يكن ثمة بديل مناسب ، لا سيما بعد استقالة علي جنبلاط من منصب القائمقامية ، وأنشغاله بأمور خاصة ، حلت نظيرة جنبلاط محل نسيب جنبلاط في زعامة الطائفة ([3]). خصوصاً وانها تحتضن الوريث الشرعي للزعامة ، وترعاه ، فأخذت الانظار تشخص اليها ([4]).

فضلاً عن ذلك كان ثمة قيادات جنبلاطية أخرى تطمح للزعامة لكن الظروف لم تتح لهم منهم على سبيل المثال : محمود جنبلاط (١٨٦٦-١٩٣٠م) الذي لم يكن يوال السياسة الفرنسية ، بل على العكس كان معاكساً لها ، فعندما كان من ضمن اعضاء مجلس الادارة الذي طالب باستقلال لبنان بشكل تام ، بالتنسيق مع الحكومة العربية في دمشق ، وبعيداً عن سياسة الانتداب مما اثار حنق فرنسا ، فقررت الغاء مجلس الادارة

---

(١)ايغور تيموفيف : كاتب وصحفي روسي من مواليد ١٩٤٥ تخرج من معهد اللغات في موسكو من قسم اللغة العربية عام ١٩٦٩ وحاز على الدكتوراه عين استاذاً محاضراً في جامعة موسكو في سبعينيات وتسعينيات القرن العشرين ومدير مكتب جريد (كمسمولسكايا برافدا) الروسية في القاهرة ومراسل جريدة الحياة عضو اتحاد الكتاب الروس من مؤلفاته : مصيبة لبنان ، وابن بطوطة وابو ريحان البيروني . جريدة الحياة : " المستشرق الروسي تيموفييف يكتب سيرة كمال جنبلاط الرجل الذي تحول اسطورة " ٦ نوفمبر ٢٠٠٠ ، منشور على الشبكة الدولية للمعلومات:

http://www.alhayat.com/article/1899048

(٢) تيموفيف ، المصدر السابق ، ص٣١ -٣٢ .

(٣) أشتي ، المصدر السابق ، ص١٠٥-١٠٦.

(٤) الباشا ، المصدر السابق ، المجلد ١ ، ص ٣٩٨-٣٩٩.

ونفي زعماءه خارج البلاد ([1])، في اشارة واضحة الى اساليب الاستعمار في ابعاد المناوئين وتقريب المؤيدين . لذلك فإن نظيرة جنبلاط كانت قريبة من توجهات سياسة الانتداب بالمقارنة مع بقية أفراد الاسرة .

وبالرغم من ذلك بقيت ظاهرة التصدي السياسي للمرأة اللبنانية ظاهرة خجولة لم يتم تعميمها على بقية النساء ، لكن هذه الظاهرة ليست فريدة من نوعها ، فثمة أحداث كان للمرأة اللبنانية دور فيها لا سيما في حالة وفاة الزوج ، أو مقتله عندئذ تتولى المرأة تربية الأبناء ، وتهيئتهم سياسياً ، ليتبوءوا منصب الزعامة في المستقبل ، ومن هذه التجارب : تجربة السيدة (نسب)([2]) زوجة الأمير المعني قرقماز (١٥٤٤–١٥٨٥م) حين قتل زوجها ، فقامت بتربية ولديها الأميرين فخر الدين والأمير يونس في حدود القرن السادس عشر ، لحين تمكن الأمير فخر الدين الثاني (١٥٧٢–١٦٣٥م) من تولي الأمارة . وكذلك في القرن التاسع عشر برزت السيدة (بدر أمان الدين) زوجة الشيخ سعيد بك جنبلاط ، حيث وفرت لولديها (نسيب ونجيب) تعليماً راقياً بمقاييس ذلك الزمان ، وتبوءا مناصب الزعامة للعائلة الجنبلاطية ([3]) . والشيخة نايفة جنبلاط (١٨١٠–١٨٨٠م) ابنة الشيخ بشير قاسم جنبلاط ، التي غدت زعيمة منطقة حاصبيا جنوب شرق لبنان ([4]). وغيرها كثير من السيدات اللبنانيات اللواتي لعبن ادواراً مميزة ومهمة في التاريخ السياسي والاقطاعي لجبل لبنان ولا يزلن إلى وقتنا الحاضر .

بيد أن الذي يميز التجربة السياسية للست نظيرة جنبلاط أنها لم تكتف بتربية ابنها كمال جنبلاط ، أو اعداده سياسياً وثقافياً لتولي الزعامة السياسية مستقبلاً ، بل زادت على

---

(١) تيموفيف ، المصدر السابق ، ص٣١ –٣٢ .

(٢) والدة الامير فخر الدين الثاني ولدت ١٥٤٦ في بلدة عبيه كانت تعرف بالست الكبيرة ولقبها المؤرخون الاجانب بالسلطانة لما توفي زوجها اخفت ابناءها خشية ان يفتك بهما الوزير العثماني وكان ابنها الامير فخر الدين يشاورها في جميع اموره وتوفيت في دير القمر ١٦٣٣. للتفاصيل ينظر : كرم البستاني ، اميرات لبنان (بيروت : ١٩٥٠) ، ص٥٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٩ .

(٤) نويهض ، المصدر السابق ، ص٧٠–٧٢ .

ذلك أن مارست العمل السياسي بشكل مباشرة ، وتزعمت الغرضية الجنبلاطية ، وجاءت في اطار مفهوم الدولة الحديثة ومتطلباتها ، ووقفت إلى صف الكتلة الوطنية القريبة من الانتداب بزعامة الرئيس اللبناني الأسبق إميل ادة (١٩٣٦-١٩٤١م) ([1]) فمارست العمل السياسي لمدة تربو عن العشرين سنة (١٩٢٣-١٩٤٣م) بشكل متواصل حتى بروز دور ابنها كمال ([2]).

ويبدو أن تجربة الحضور النسوي في العمل السياسي في لبنان اثناء هذه المدة كان متواضعاً ، لذلك فإن تجربة نظيرة جنبلاط في العمل السياسي يمثل استثناءاً ، ولاسيما ان مشاركتها في الحياة السياسية كان لظروف استثنائية ، وليس بناء على وعي مجتمعي عام ، يقر بقدرات المرأة ، ويعترف بحضورها ، ويؤمن بدورها ، ويصون حقوقها ، ومع ذلك فإنها كما يقول أحد الباحثين تمثل:" ومضات مهمة في مسار الحركة النسوية" ([3]). إذ أن تجربتها في تزعم العائلة الجنبلاطية كانت تتوخى المحافظة على التقاليد السائدة والاعراف المعمول بها ، فعملت على تكريسها دون تجديد ، وذلك بغية تأمين ديمومة بقاء العائلة واستمرارية الزعامة .

خامساً : مقومات الزعامة النسائية اللبنانية

بدأت السيدة نظيرة جنبلاط ممارسة مهامها السياسية في البداية من وراء حجاب منذ عام ١٩٢٣م ، وفقاً للتقاليد والاعراف السائدة عند الدروز ، وكانت تتعامل مع الوافدين والزائرين من وراء ستار ، لكن طبيعة السياسة ، والمهام المنوطة بها ، جعلاها

---

(١) من جبيل ومواليد دمشق ١٨٨٤م درس الحقوق في فرنسا وعين محامياً عن القنصلية الفرنسية في بيروت وشارك في الوفد اللبناني الى مؤتمر الصلح بباريس ١٩١٩م للمطالبة باستقلال لبنان ، عين عضواً في مجلس الشيوخ اللبناني عام ١٩٢٦ ورئيساً لمجلس النواب عام ١٩٢٤ ورئيساً للحكومة عام ١٩٢٩م ، عرف بنزعته اللبنانية المتشددة وبولائه المطلق لفرنسا ومعاداته للكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري ذات التوجه العروبي اسس حزب الكتلة الوطنية توفي عام ١٩٤٩م ، ودفن في بلدة صوفر . عدنان محسن ضاهر ورياض غنام ، المعجم النيابي اللبناني ،(بيروت : ٢٠٠٧) ص٢٩-٣٠ .

(٢) آشتي ، المصدر السابق ، ١٢٢ .

(٣) آشتي ، المصدر السابق ، ١٢٧ .

مضطرة للخروج عن هذا السياق ، ومع هذا فإنها عمدت حين يزورها الفرنسيين أو حضور وفود اجنبية الى استدعاء شيخ مشايخ العقل الشيخ (حسين طليع) ([١]) أو أحد مشايخ المذهب عموماً لحضور تلك اللقاءات([٢]). ولما اشتد عودها وتمكنت من اتقان دورها اخذت تلتقي بالوفود والزعامات في مجلسها الذي كان يسمى (المقعد) حيث قبل ان تدخل الى المجلس كان يسمع صوتها الجهوري فينتبه الحاضرون ([٣])، كانت زعامة نظيرة جنبلاط قد بنيت على مجموعة من المقومات الأساسية ولعل من أبرزها :

أ_ البراغماتية (النفعية) ([٤]) ، فقد اتسمت سياستها بالبراغماتية في أثناء التعامل مع سياسة الانتداب الفرنسي على لبنان ، فعلى الرغم من العداء التاريخي المستحكم بين الموحدين الدروز والسياسة الفرنسية ، وميلهم الشديد للسياسة البريطانية ، فإن نظيرة جنبلاط سعت في أحيان كثيرة الى التقارب من سياسة الانتداب ، والتفاهم معها . وهذا الموقف ينسجم مع السياسة الوطنية التي انتهجتها نظيرة جنبلاط في التقارب مع الكتلة الوطنية القريبة من الانتداب ، والمعارضة لكتلة الرئيس بشارة الخوري المسماة الكتلة

---

(١) هو حسين بن حسن طليع من مواليد الشوف ١٨٥٣ تولى مشيخة العقل عام ١٩١٧ احرز العديد من الأوسمة منها سام الدولة المنتدبة الفرنسية وتوفي عام ١٩٤٩م . الباشا ، المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص١٠٨-١٠٩ .

(٢) اشتي ، المصدر السابق ، ص١٤٢.

(٣) يشير شوكت اشتي ان اغلب المقابلات الشخصية التي اجراها مع الشخصيات التي عاصرت نظيرة جنبلاط يجمعون على قوة شخصيتها ، وقدرتها على ادارة الزعامة بكل اتقان وتفان دون تكلف . ينظر ، المصدر الساب ق، ص١٣٥.

(٤) البراغماتية ، مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة ، نشأت هذه المدرسة في الولايات المتحدة في أواخر سنة ١٨٧٨، والبراغماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما ومعناه العمل تقوم البراغماتية على أن الأثر العملي هو المُحدِّد الأساسي في صدق المعرفة وصحة الاعتقاد بالحياة الاجتماعية للناس فالقيمة والحقيقة لا تتحددان إلا في علاقتهما بالممارسة العملية .

Claudine Tiercelin, "Pragmatisme", in : Michel Blay(dir.), Dictionnaire des concepts philosophiques, (éd.Larousse/CNRS éditions, 2007), p.647-648.

الدستورية(١) . والحقيقة كما قالت مي جنبلاط عنها : " أنها لم تكن ترتاح لأحد في السياسة " (٢).

فقد كان لهذا الموقف اسباب كثيرة وتداعيات جمة ، فان اعلان الانتداب الفرنسي على كل من سوريا ولبنان بموجب مؤتمر سان ريمون عام ١٩٢٠م جعل النظرة السياسية لفرنسا – ولو بشكل مؤقت – ترى أنها سلطات انتداب جاءت للمساعدة والتدريب ، وليس للاحتلال أو الاستغلال ، الامر الآخر إن الزعامة الجنبلاطية التي تتمتع بعلاقات جيدة مع بريطانيا تم إفهامهم من البريطانيين بضرورة التفاهم مع فرنسا ، لأنهم المنتدبين بموجب قرارات عصبة الامم ، وأخيراً فان الزعامة الجنبلاطية فهمت أن ابتعادها عن فرنسا قد يضرها اكثر مما ينفعها وان المكاسب التي يمكن أن يحصلوا عليها قد تذهب لصالح الموارنة بدلاً عنهم .

من زاوية اخرى فإن سياسة الانتداب الفرنسي المتساهلة مع الدروز في لبنان إلى حد ما ومحاولة التقارب دفعت الطرفين لأبداء المرونة والتعامل على أساس المصلحة المتبادلة لذلك تم ارساء علاقات التعاون والتفاهم فيما بينهم .

---

(١) الكتلة الدستورية وهو الاسم الشائع لـ"حزب الاتحاد الدستوري "اللبناني الذي أسسه الشيخ بشارة الخوري عام ١٩٤٣م_كان الحزب من دعاة ان يكون استقلال لبنان تاماً وناجزاً غير مرتبط بمعاهدة مع فرنسا أو غيرها من الدول وان يكون عضواً مؤسساً في جامعة الدول العربية لأنه جزء من العالم العربي بدء كتكتل سياسي عام ١٩٣٤ وأصبح حزبا سياسيا في الخمسينيات. من أهم مبادئ الحزب الحفاظ على الميثاق الوطني اللبناني، والسهر على تنمية الروح الوطنية عند اللبنانيين، وإلغاء الطائفية، تدريجاً، وجعل المهارة أساساً للتوظيف. وانته دوره وفعاليته السياسية بوفاة مؤسسه في الخمسينيات والمسؤول الحالي للحزب هو الشيخ خليل الخوري . وفي أواخر التسعينات أنبثق عن مبادئ الكتلة الدستورية حزب أحفاد البشارة . محمد جميل بيهم ، النزاعات السياسية بلبنان عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨-١٩٤٥، جامعة بيروت العربية (بيروت : ١٩٧٧) ، ص٢٠-٢٣ ؛

https://www.yabeyrouth.com

(٢) آشتي ، المصدر السابق ، ص١٧٣.

ب–خدمة الغرضية الجنبلاطية ، كما ان تقاربها من سياسة الانتداب كان لخدمة الغرضية الجنبلاطية أيضاً حيث أدركت نظيرة جنبلاط ما ستحققه هذه السياسة من مكاسب باعتبار ان الانتداب الفرنسي له القرار الأخير في سياسة البلاد ، فكان لا بد من التقارب من السياسة الفرنسية لتحقيق هذه الغاية .

ج– الاقرار بالواقع السياسي في لبنان ، فبعد تشكيل دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ شهد المجتمع اللبناني انقساماً حاداً ازاء هذا التأسيس ، لكن نظيرة جنبلاط تعاملت معه بواقعية سياسية فسعت إلى الحفاظ على كيانه ، ونزع فتيل أي محاولة لخلق الفتنة بين ابناء لبنان ، ولا سيما بين الدروز والموارنة ، وعندما اندلعت الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥–١٩٢٧ م) (١) بقيادة الشيخ سلطان باشا الأطرش(١٨٩١ – ١٩٨٢م) (٢) عارضت نظيرة جنبلاط الثورة وحاولت النأي بنفسها لأنها خشيت ان تؤدي الى تفاقم الثورة وامتدادها الى لبنان ، وقد خشيت ان هي دعمت الثورة ان تواجه عواقب السياسة الفرنسية في خشيتها من ان تؤدي السياسة الفرنسية الى اعادة تأجيج الفتنة الطائفية بين النصارى والدروز

---

(١) للتفاصيل ينظر : فلاديمير لوتسكي ، الحرب الوطنية التحررية في سوريا ١٩٢٥–١٩٢٧ صفحة مشرقة من النضال العربي ضد الامبريالية الفرنسية ، ترجمة : محمد دياب ، دار الفارابي (بيروت : ١٩٨٧) ، ص١٧٣–١٨٤ .

(٢) سلطان باشا الأطرش ، زعيم وطني سوري درزي قائد عام للثورة السورية الكبرى ١٩٢٥م ضد الانتداب الفرنسي، أحد أشهر الشخصيات الدرزية في العصر الحديث عرف بوطنيته وشجاعته ورفضه لتجزئة سورية. ولد في قرية القريا في محافظة السويداء منطقة صلخد في الجمهورية العربية السورية دخل الخدمة العسكرية في البلقان، ومنذ عودته تابع الاتصال بالحركات العربية بفضل علاقته الدائمة بدمشق، فصارت القرياّ ملجأ ومعقلاً للفارين من الأتراك ، كان أول من رفع علم الثورة العربية على أرض سورية قبل دخول جيش الملك فيصل، وفي طليعة الثوار الذين دخلوا دمشق سنة ١٩١٨، منحه الملك فيصل لقب باشا ، طرح الفرنسيون عليه الاستقلال في حكم الجبل وتاسيس بلد مستقلة في محافظة السويداء فرفض رفضا قاطعا لسعيه الدؤوب نحو دولة عربية مستقلة بعيدا عن التجزئة والاستعمار . لذلك عارض الانتداب الفرنسي، وقاد الثورة العربية ضد الاحتلال الفرنسي. علي محافظة ، حركات المقاومة الوطنية في الوطن العربي – الثورة السرية الكبرى ، مقالة منشورة في صحيفة الدستور الاردنية بتاريخ ٨ / ٨/ ٢٠١٠ .

http://www.addustour.com

لذلك رعت محادثات مع ممثلي العائلات الدرزية الثائرة وحاولت تفادي وقوع صدامات سافرة مع الفرنسيين ، وادت دوراً مهماً في التخفيف من المصادمات وبذلت جهودها للتوسط بين الثوار وسلطات الانتداب الفرنسي فبذلت سلسلة من المحاولات لأقناع الدروز بمخاطر امتداد الثورة في لبنان (١).

كانت للثورة السورية انعكاسات مهمة على الوضع في لبنان فقد انقسمت المواقف تجاهها الى ثلاث جهات : جهة أيدت الثورة ، ودعمتها ، وسعت إلى نقلها داخل لبنان ، تزعمها زيد الاطرش شقيق سلطان باشا الاطرش ، ومعه فؤاد سليم (١٨٩٣-١٩٢٥م) ، وجهة تؤيد الثورة وتسعى الى دعمها لكن خارج لبنان ، وجهة ثالثة تدرك مخاطرها وتسعى الى أن ينأى لبنان عنها ، لأنهاء حالة الثورة ، وهذا الموقف تبنته نظيرة جنبلاط ومعها كثير من الزعامات الدرزية ، التي سعت لمنع امتداد الثورة الى لبنان عبر التوسط بين الثوار وقوات الانتداب الفرنسي ، وضمن هذا التوجه رعت نظيرة جنبلاط مساعي الدروز للتوسط ، وشكلت من أجل ذلك وفد من زعماء الجبل تألف من : فريد جنبلاط ، وفريد العماد ، ورشيد امين الدين ، وقاسم ابو شقرا ، واخرون ، وتكفلت بنفقات المهمة ، ومقابلة الثوار . في مسعى لمنع امتداد الثورة الى لبنان ، لما قد تشكله من مخاطر سياسية جمة على الدروز ولبنان (٢).

من جهة ثانية حاولت نظيرة جنبلاط منع القوات الفرنسية من التعدي على القرى اللبنانية المؤيدة للثورة ، ووقفت بوجههم حفاظاً على أرواح الناس . فقد جردت فرنسا حملة عسكرية للزحف إلى منطقة (بعذران) (٣) الدرزية في الشوف بسبب تأييدها للثورة إلا أن

(١) آشتي ، المصدر السابق ، ص ٣٤ ، ص٢٠١ .

(٢) هاني ابي راشد ، حوران الدامية ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٦١) ص٤١٢-٤١٧ .

(٣) بعذران ، تقع في الشوف ٥٩ كم عن بيروت تبلغ مساحتها ٩٠٠ هكتار تشتهر بزراعة التفاح والكروم والحنطة والزيتون والجوز فيها معاصر الزيتون والعنب وتعني اسمها بيت المساعدة بالسرياني سكنها الشيخ علي جنبلاط بعد معركة عين داره ١٧١١م وبنى فيها قصراً وقد غادرها ال جنبلاط الى المختارة والبرامية لصالح اسرة ال تاج الدين وال الباز يقطنها دروز وموارنة . مفرج ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٧٣-٧٧ .

نظيرة جنبلاط أوقفتهم واجرت محادثات مع الضابط الفرنسي ، وتمكنت من اقناعه بعدم جدوى اراقة الدماء واللجوء إلى الحل العسكري ، ووعدته أن تبذل أقصى الجهود لتخفيف التوتر ، وإحلال السلام ، فتمكنت بسياستها من تجنيب الشوف نيران الفتنة ، ولا سيما أن فرنسا بدأت بتجنيد قوات مارونية لمواجهة الثورة بزعامة بطرس كرم شقيق يوسف كرم ([1]) المشارك في احداث عام ١٨٦٠م الطائفية في لبنان ([2]).

ويرى احد الباحثين ان هذا الموقف انما ينم عن ايمان الزعامة الجنبلاطية بلبنان وضرورة انخراطهم في مؤسساته ، وهنا اصدر شيخ العقل الدرزي حسن طليع التحريم ضد كل درزي يساعد ما اسماه بـ (الاشقياء) فتم بهذه السياسة محاصرة الثورة وتطويقها وبالتالي انهاءها ([3]).

نتيجة للمواقف المهادنة من الانتداب الفرنسي غدت زعامة نظيرة جنبلاط احد اهم المرتكزات التي اعتمدت عليها السياسة الفرنسية في لبنان ، وبالتالي حصلت الزعامة الجنبلاطية على مكاسب سياسية هامة نتيجة لتلك المواقف الحيوية للمصالح الفرنسية . مما دفع باحد الباحثين للاستنتاج بان سياسة نظيرة جنبلاط بالتعاون مع الحكماء الدروز وبعض أمراء ال ارسلان أن شأن الاقلية يمكن ان يصبح أكثرية لدى الفرنسيين ([4]).

د- إن نمطها السياسي في العلاقة والتواصل مع الناس وفّر لها أرضية صلبة ، وقوّى عصبيتها السياسية ، وعزز من زعامتها ، ورسّخ من موقعها السياسي والاجتماعي ، وهذا

---

(١) يوسف بك كرم قيادي ماروني من مواليد بلدة اهدن ١٨٢٣م كان له دور بارز في احداث ١٨٥٨م الفلاحية وكانت تربطه علاقات وثيقة بالاكليروس الماروني والسياسة الفرنسية رشحته فرنسا لتولي القائمقامية المارونية كما كان من المؤمل ان يصبح متصرفاً لجبل لبنان ، لذلك تمرد على المتصرف الجديد داؤد باشا (١٨٦١–١٨٦٨م) وتم نفيه الى فرنسا توفي سنة ١٨٨٩م . للتفاصيل ينظر : يوسف الدبس ، تاريخ سوريا الديني والدنيوي ، (بيروت : ١٩٠٥) ، ج٤، ص٧٢٦ ؛ لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١–١٩١٨م منشورات الجامعة اللبنانية (بيروت : ١٩٦٧) ، ص٢٣ .

(٢) المتني ، المصدر السابق ، ص٦٨–٦٩ .

(٣) أشتي ، المصدر السابق ، ص١٩٥–١٩٧.

(٤) الرياشي ، قبل وبعد ١٩١٨الى ١٩٤١ ، ص١٠٢ .

ماعكسه أسلوبها في التعامل مع مختلف الفعاليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية .

فقد اتسمت سياستها بالمرونة وسعة الافق ، فكانت نظيرة جنبلاط مرنة في التعامل مع ابناء بلدتها ، وكانت تتجاوز عن الكثير من الهفوات والاخطاء التي تبدر منهم ، فلم تتأثر بطريقة حديثهم معها عندما كانوا يتجرأون عليها ويتحدثون معها بخشونة ، وأثبتت سعة الصدر ، والتسامح، والعفو ، والمغفرة، والترفع عن رد الإساءة بالإساءة، هذا إلى جانب الحشمة، والتواضع، والعفة، التي رافقتها طوال حياتها ، من ذلك أنها قابلت احدى مختاري قرى الشوف وطلبت منه ان يسمح للفرقة الهندسية الفرنسية المرور لشق طريق جديد يربط القرية ببلدة الشوف ، فرد هذا المختار بقسوة عليها ، ورفض دخول الفرقة الهندسية بحجة انهم سوف يطلعون على نساء القرية ، فما كان من نظيرة جنبلاط الا ان تحملت تأخر شق الطريق ثلاثين سنة ، من دون ان تتصادم أو ترد الاساءة ، مما يؤشر الى مرونتها في التعامل مع ابناء بلدتها .

وتشير مي جنبلاط إلى قول لنظيرة جنبلاط مشهور تقول فيه : " يا كنتي أن الزائر الفلاني ليس من يمنا (اي انه ليس من سياستنا) لكن علينا مساعدته فقد دخل دارنا " ([١]) في اشارة واضحة الى البعد العشائري وتقاليد الزعامة التي تمتعت بها هذه الاسرة .

فضلاً عن ذلك كانت تتمع بذاكرة حديدية إذ يشير احد المعاصرين لها وهو قاضي بلدة بعقلين جميل الشهال ، إلى اعجابه بذاكرتها ودهشته إذ كانت تتعرف على محدثيها الذين جاؤو للاطمئنان على صحتها من خلال اصواتهم فترد على كل شخص منهم باسمه مستفسرة عن اوضاعه واوضاع اسرته وحتى مواشيه ([٢])

هـ -ارتكز اداءها السياسي على مجموعة من المقربين الذين اعتمدت عليهم والذين يمثلون بنية الغرضية او العصبية – بمفهوم ابن خلدون – التي ارتكزت عليهم في

(١) اشتي ، المصدر السابق ، ص١٥٠ .

(٢) عدنان الشهال ، الزعيمة والقاضي رسائل نظيرة جنبلاط والقاضي جميل الشهال ، ط١ ، دار رياض الريس (بيروت : ٢٠٠٢) ، ص١٧ .

تعاطيها السياسي . إذ اعتمدت عليهم وأخذت برأيهم ومشورتهم ([1])، وهنا لا بد من الاشارة إلى أن العصبية حسب ابن خلدون كان لا يزال فاعلاً في أجواء لبنان السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

سادساً : متغيرات الزعامة

شهدت الزعامة الجنبلاطية مع تولي كمال جنبلاط التمثيل النيابي تحولاً جذرياً سواء في العلاقة مع فرنسا أو مع الوضع الداخلي ، بل حتى على مستوى مفهوم الزعامة السياسية .

فقد بدا واضحاً ان تجربة نظيرة جنبلاط في زعامة الغرضية الجنبلاطية يمثل آخر شكل تقليدي من اشكال الزعامة قبل أن تتحول إلى تجربة سياسية حديثة على يد ابنها كمال جنبلاط ، الذي حول الزعامة السياسية إلى حزب سياسي يتماشى مع المتغيرات السياسية التي عاشها لبنان في تلك المرحلة من تاريخه السياسي . فتأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي ([2]) غيّر من الحزبية الجنبلاطية التقليدية ، لأنه وان لم يلغي الزعامة الجنبلاطية كوعاء مجتمعي فئوي تقليدي إلا أنه عززه ، واعطاه وزناً اكبر ، وحجماً مما يمكن أن يكون في معادلة التركيبة الطائفية في لبنان ، فاعطى الزعامة الجنبلاطية محتوىً حزبياً جديداً ، مما يفرض على الحزبية الجنبلاطية تجاوز ذاتها نحو افاق مجتمع

---

(١) أشتي ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٢) أسس كمال جنبلاط هذا الحزب سنة ١٩٤٩م وهو حزب علماني اشتراكي التوجه مقاوم للطائفية ومع هذا أغلب اعضائه من الدروز ، شارك في الحرب الاهلية اللبنانية تم حل جناحه العسكري سنة ١٩٩١ م . المتني ، المصدر السابق ، ص١٦١ ؛

Are Knudsen, Precarious peace building: Post-war Lebanon, 1990-2005, Michelsen Institute , (Norway: 2005) p. 56.

اكثر عصرية وانفتاحاً ([1]). وهذا ما شهده التاريخ ، فلم تقتصر الزعامة الجنبلاطية في عهد كمال جنبلاط على الدروز وحدهم بل شملت كل لبنان .

وفي عام ١٩٥١م توفيت نظيرة جنبلاط وبموتها زال رأس الزعامة الاقطاعية ، حيث يمكن عدها ممثلة للتقليد السياسي ، إذ التزمت بحدوده ومعاييره على العكس من ابنها كمال الذي حاول جذب محيطه الاجتماعية باتجاه افكاره وتصوراته الحديثة ، لذلك فإن مقارنة سريعة للتجربتين تظهر بجلاء محدودية الاثر الذي تركته تجربة نظيرة جنبلاط المميزة عند مقارنتها بتجربة ابنها الاكثر ثراءً واثراً واشد تحديثاً وانفتاحاً في ميزان الزعامة السياسية .

لقد كان تأسيس كمال جنبلاط للحزب التقدمي عملاً غير مقبول بالنسبة لنظيرة جنبلاط التي كانت تحبذ البقاء في اطار الغرضية الجنبلاطية أو الدرزية على ابعد حد ، فهي لم تِشأ مغادرتها أو تطويرها او حتى تجديدها ، فمجالها السياسي الرئيسي بقي جبل لبنان .

كانت نظيرة جنبلاط تدرك أن تأسيس الحزب التقدمي قد يقلب الزعامة الجنبلاطية وتقاليدها القديمة رأساً على عقب ، فلم تعد الجنبلاطية محور النشاط والفعل بل التقدمية والاشتراكية بصفتها مفاهيم حداثوية هي محور نشاط ابنها وكوادره . فقد كسر كمال جنبلاط بتبنيه لهذه الرؤية الحداثوية الكثير من تقاليد الزعامة التي كانت سائدة في حقبة نظيرة جنبلاط ، واعاد تشكيل الرؤية السياسية نحو الزعامة والسلطة والسياسية . ووصل الامتعاض من تصرفات كمال جنبلاط حداً أن صرّحت في بعض مجالسها أن :" كمال عم بيعذبني " ([2]). مما يؤشر الى ان حالة الاختلاف وصلت الى حد عميق وتجذر للخلاف بينهما . وفي إحدى المرات جاء احد الفلاحين يسأل عن ابنها كمال حين قال :

(١) للتفاصيل ينظر : فارس أشتي ، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية (١٩٤٩- ١٩٧٥) ، المجلد الاول ١٩٤٩-١٩٦٤ تكوين الحزب ، الدار التقدمية ، (المختارة : ١٩٨٩) ، ص٦٦.

(٢) أشتي ، الست نظيرة ، ص٢٤٠ .

"الرفيق كمال هون " ، ردت عليه بجفاء وبصوت اقرب الى الصراخ : " أنقبر من وجهي .. من وقت ما صار خيك ما عدت اعرف وين بيروح وكيف بيجي " (١)في اشارة واضحة الى حالة الرفض الذي كانت تعيشه وعدم الرضا عن سلوكه .

ومع ذلك فإن لتجربة الزعامة الجنبلاطية في لبنان ذات فرادة قلّ ما وجد نظير لها عند بقية الزعامات ، وكانت تتمتع بتأثير قوي رغم قلة أعدادهم النسبي مع بقية أفراد المجتمع اللبناني ، مما يدعونا للاعتقاد بأن تأثيرهم ليس بالعدد إنما بعمق التجربة والاصرار عليها دعمها بشكل لا محدود بكل حكمة وعزيمة .

إن أهمية نظيره جنبلاط ودورها في الزعامة ينبع من كونها نجحت في حماية ارث الزعامة الجنبلاطية من التآكل والضياع ، وصانت الموقع والسياسي ومكانته على الساحة السياسية اللبنانية ، وحسمت الزعامة لصالح اسرتها وبطريقة سلسلة خالية من العنف والصراعات الحادة . لذا يمكن القول ان تجربة الزعامة الجنبلاطية الممثلة بشخصية نظيرة جنبلاط مثّلت تجربة فريدة وناجحة في هذا المضمار .

(١) تيموفيف ، المصدر السابق ، ص١٦٦ .

الخاتمة

وفي الختام يمكن القول إن تجربة الزعامة النسائية الممثلة بتجربة نظيرة جنبلاط تمثل تجربة لبنانية فريدة وناجحة ، حيث تمكنت هذه السيدة من الحفاظ على الارث السياسي للعائلة الجنبلاطية ووقفت بوجه مختلف التيارات والقوى المنافسة لهم ، واستطاعت ان تحمي المكانة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعائلة الجنبلاطية تصون موقعه في البلاد ، وتبقي على الزعامة الجنبلاطية محور الحدث السياسي ، ونجحت في تحمل المسؤولية ، حتى اوصلتها الى الوريث الشرعي للزعامة ، علماً أنها حين تولت الزعامة كانت في مقتبل الثلاثينيات من العمر ولم تمتلك تجربة سياسية سابقة ، فنجحت في الاستجابة لهذه المهمة واوصلت الزعامة الجنبلاطية الى بر الامان .

لقد اخترقت نظيرة جنبلاط الموروث الثقافي في رؤيته للمرأة ومكانتها ، واستطاعت من اثبات جدارتها في التصدي للميدان العام ، بل والاكثر من ذلك الزعامة السياسية لتيار سياسي كبير ومهم في لبنان ، رغم ما كان يواجه هذا التيار من تحديات ومنافسات خطيرة

ورغم ذلك فإن تجربتها في الزعامة حاولت كسر بنية المجتمع (البطركي) الابوي المنحاز ضد المرأة ، ذلك أن تجربة نظيرة جنبلاط على العموم لم تأت في سياق تطور ديمقراطي يؤمن بتداول السلطة والمساواة في الفرص بل جاءت نتيجة لظروف تاريخية موضوعية خلقت فرصة امام المرأة لتتصدر منصب الزعامة في ظل ظروف غياب الزعيم (الزوج) وصغر سن الوريث (الابن) ، لكن المهم في تجربتها ، أن دورها في الزعامة السياسية لم يكن ثانوياً أو هامشياً بل على العكس كان فاعلاً مؤثراً .

ورغم ذلك فثمة ملاحظة مهمة يمكن رصدها في تجربة الزعامة السياسية للست نظيرة وهي عدم فاعليتها أو نشاطها في الحركات النسائية التي اخذت بالتبلور والنمو في مطلع القرن العشرين ، فلم يلاحظ لها أي وقفات حول استحصال حقوق المرأة السياسية والاجتماعية رغم دورها الخطير في السياسة اللبنانية ، وبالتالي يمكن القول انها لم يكن لها دور اساس في تعزيز موقع المرأة السياسي في لبنان ، بل كان جل همها الحفاظ على

الغرضية الجنبلاطية وايصال الامانة الى الوريث الشرعي للزعامة وفق التقاليد السلطوية التي بنيت عليها مفهوم الزعامة في لبنان . وهذا الأمر يدفعنا للقول بأن تجربة نظيرة جنبلاط السياسية اتسمت في بعض جوانبها بالانغلاق ، والبقاء في حدودها الضيقة ، واطرها التقليدية ، ومع ذلك فغنها تجربة سياسية تستحق الوقوف عندها وتأملها والخروج بنتائج مهمة عنها .

Nazira Janbullate

and her political role in Lebanon 1890-1951

Asst.prof.Dr..Mahmood saleh saeed

Abstract

The political empowerment of Arab women is one of the topics that preoccupy the minds of many political activists and political modernization projects in contemporary Arab society. The Lebanese model is one of the most modern models.

On the other hand, the political leadership represented one of the most prominent forms of political action in Lebanon. In this research, an attempt was made to highlight an important political experience that Arab women in the first half of the twentieth century, represented by the six-party Nizira Jumblatt (1890-1951), ran for an important political trend in Lebanon. And its role in the various political developments in Lebanon and the region, especially in the first half of the twentieth century, and for more than a quarter of a century.